نظر في احوال العالم المتمدن

للاب لويس رزقان اليسوعي

يدخل المرء في كل سنة جديدة وهو يؤمل منها خيراً اوفر من السنة التي شيعها الا ان السنين تتوالى ويتوالى معها الشر والخير في جهاد متواصل فيظهر فضل الخير بمناصبته للشر وبكسر شوكته. وهذه السنة التي قضى بها الخالق قد تحققت في العام الماضي في امور الدين والدنيا كما سترى

١ احوال الدين

يشتكي الكنيسة اعداء كثيرون لكن الله قد اقام لتدبيرها رجالاً هماماً عاملاً محنكاً في الامور صائب الرأي متوقد الفكر فلا يكاد يرى الداء الا عاجلَهُ بالدواء او حسمهُ من اصله. فكلما حاول العدو اختراع حيل جديدة ليوقع ابناء الله في حبائله لسرع الخير الاعظم ووجّه الانظار الى الاخطار المحدقة بهم. وهذه اخص الحوادث الدينية التي جرت في السنة المنقضية فمنها محزنة ومنها سارة. فيا نحن نروي منها في هذا الباب الاول ما ليس له علاقة خاصة بسياسة الدول مؤجلين ما يتوسط منه ببعض البلاد الى الباب الثاني

انتشر ايام الاجبار في ايرلندا السنة ١٩١٠ باصطلاح الامور الدينية في تلك الجزيرة واعادة العلائق الرسمية بين جمهوريتها والكرسي الرسولي

بيد ان هذه الافراح عقبها بعد قليل حوادث كدرت قلب ابي المؤمنين فان اهل الشرة واعداء الدين اقاموا في ٢١ شباط في عاصمة الكثلكة حفلة تمجيد جوردانو برونو وهو الراهب الزنديق الذي دنس ثوبة الرهباني بآثامه في القرن السادس عشر فحكموه عليه بالموت شرعاً

وفي نيسان حدثت مع الفاتيكان مسئلة روزفلت الرئيس السابق على الولايات المتحدة فتطاولت يد الجرائد مذمةً على عادتها وخلطت في رواياتها ما شاءت حتى بانت بها فاضح الحق وزهق الباطل ودونك تفصيل الامور على وجهها

كلٌّ يعلم انَّ في رومية قوماً من بدعة البروتستانت المعروفين بالمثوديست لا همَّ لهم غير الطعن على الكنيسة والقدح في امام الاحبار فينشرون في المدينة التآليف السمجة والتصاوير الشنيعة والاوراق المجونيَّة ليحظُّوا من قدر رأس البيعة. وكانوا سبقوا فرشَّحوا في بعض الاعوام بنيربنكس (Fairbanks) نائب رئيس الولايات المتَّحدة ليبرزوا الرأي العامّ على نائب المسيح. فكان شرف الكرسي الرسولي يستدعي ان لا يعود روزفلت الى مثل هذه الاعمال المستهجنة فيحلّ في دار اولئك المتدينين. لمَّا طلب ثلاثة ان يزوروا البابا لم يجب بيوس العاشر الى ملتمسهم مع علمه بانَّهُ لن يذهب الى زيارة المثوديست وهو ليس من شيعتهم. فأبى روزفلت ان يتيد نفسهُ بمثل هذا الوعد فارسل الحبر الاعظم اليهِ رسالةً أبدى فيها اسفهُ على عدم استطاعتهِ لاستقباله. على انَّ روزفلت لم يَزُر المثوديست بعد ذلك تكتُّماً لساءة العمل باختلاطهِ مع الشيعة المارسونيَّة وغضَّ بفضلهِ من كلمة الحبر الاعظم في حاضرتهِ فبيَّن للجميع انَّ البابا لحسن بعدم استقبالهِ. وما كانت هذه غلطة روزفلت الاولى بل كان التقم عليها المصريين قبلاً فجرح عواطفهم بخطبهِ ثم سار الى باريس فساء الادب باتتقادهِ لامور الحكومة وتكبيتهِ جيرانهُ على اعمالها مدَّعياً انَّ بلادهُ اعلم من سواها باحكام الاخلاق والسياسة. كأنَّ الاميركيين لم يسمعوا عن تلك المبادئ وهم الذين قتلوا بعد ذلك بضعة قليلة عدداً وافرًا من السود لأنَّ الاسودَ جاك جرهلين كان غلَّب بالملاكمة الابيضَ جفرس!! على انَّ مواطني روزفلت ما لبثوا ان لاموهُ على تطاولهِ في الكلام وعدلوا عنهُ في الانتخابات الاخيرة.

وبينما كان شيخ الفاتيكان محتجًّا على الاهانة اللاحقة بمقامهِ من قبل رئيس الولايات المتَّحدة السابق اخذت امور اسبانية ترتبك وتختلط متهدِّدة لاحوال الدين في ذمَّة الدولة الكاثوليكيَّة. يذكر قرَّاؤنا ما اتت بهِ الشيعة المارسونيَّة من الهيجان والثورة بعد ان حكم بالاعدام على احد زعمائها الأثمة لفرير فكأنَّ تلك الفتن اوجبت للملك الفنس الثالث عشر نزعاً فعدل عن خطتهِ في مقاومة النوضى لملاَّ منهُ ان ينال السلام بتضحية حزب السلم والنظام لاعداء الدين. ففي ٩ شباط تألَّفت وزارة موره لجنَّة لاستفتائها فقام في النيابة عنهُ الوزير كاناليجس وذووهُ فجرَّ بعد مدَّة بجاداتهِ للكنيسة. ولمَّا جرت انتخابات مجلس الكورتس في شهر

أيار نالت الحكومة الاغلبيّة فبلغ عدد الاحرار ٢٢٧ بعد ان كانوا ١٠٣ فقط بخلاف المحافظين الذين هبط عددهم من ٢٤٠ الى ١٠٥ وصار الجمهوريون ٩٣ بزيادة ١٢ على الوزارة السابقة وظلّت بقيّة الاحزاب على حالتها قليلة العدد. امّا مجلس الاعيان فكان اقلّ تطرّفاً. على ان الكلّ كانوا يترقّبون حدوث امور مخلّة بالدين فتحقّق ذلك بعد امد قريب ففي ٢٨ أيار نشر لساقفة اسبانية تقريرًا اثبتوا فيه شرعيّة الجمعيّات الرهبانيّة فعارضهم كاناليجس في ٣١ منهُ بقرار اعلن فيه تنفيذ احكام سنة ١٩٠٢ الصادر في حقّ الرهبانيّات ليلزمها بطلب الرخصة لكنّهُ وقتئذٍ لم يجد بالعمل. وفي حزيران صدر امر ملكيّ مناقر للمعاهدة المبرمة بين الكرسي الرسولي واسبانية في ١٦ آذار ١٨٥٠ والمجدّدة بحكم سنة ١٨٧٦ فتساهل مع الغير الكاثوليك ورخّص لهم بالمظاهرات الدينيّة. وفي ١٥ منهُ صار افتتاح دار الندوة فاعلن الملك في خطابه بسياسة الحكومة العلمانيّة فاستدعى ذلك احتجاجاً على الوزارة من قبل ارباب الاكليروس بلسم كردينال طليطلة و ٦٢ اسقفاً. لكنّ الحكومة لم تكترث لهذا الاحتجاج ففي تاريخ ١ تموز قرّر رئيس الوزارة الغاء القسم الديني وجعل عوضاً عنهُ صورة وعد بسيط

فاسفرت هذه الاعمال نار الحرب بين الحكومة واهل الدين ففي ٣ تموز قام الكاثوليك بمظاهرة مهيبة في وجه اعداء الدين. لمّا كاناليجس فانهُ زاد خبثاً وعيظه ونشر في ٨ منهُ امراً عرف « بقضيّة القتل » حظر بموجبه على الجمعيّات الرهبانيّة الجديدة ان تتألّف في اسبانية وربّما تحلّ مسألة الرهبانيّات. فاقام الكرسي الرسولي حجّة على هذا الفعل المخالف لعهد الكنيسة والندوة فرفض الوزير وانقطعت العلاقات بين رومية واسبانية واستدعى في غرّة آب سفير الملكة السيّور دي اوخيدا (de Ojeda) الى مدريد. فكان ذلك داعياً الى اشتداد الكاثوليك الذين عزموا على المظاهرات العنيّة وما كانوا ليرعوا لولا اوامر اساقفتهم. وما بحث القضيّة كان ان ارسل في ٢٨ آب الى الملك رقيماً يبيّن فيه مخالفة كاناليجس لكلّ الاصول المرعيّة وبطلان مدّعياته. امّا الكاثوليك فلم يعدّ بكثيم ان يغضّوا على القذى وقامت جمعيّة مقاطعة بكاديا بتنظيم مظاهرات واسعة تعلن بتحالف الكاثوليك وعزلتهم في كلّ انحاء الدولة. فخاف الملك الفتى من سوء العقبى وسلّم الامر لوزيره ورحل

الى فرنسة والكنترة. وما مرَّ على الكاثوليك بضعة أيام حتى ابرزوا مظاهراتهم السلمية باتفاقهم مع لسانتهم وكهنتهم وبرخصة الحكومة نفسها. فلمَّا كان يوم عيد الوردية المقدسة في ٢ تشرين الاوَّل قامت لسبانية الكاثوليكية في كل اطراف البلاد بجالي دينية قلَّما يُذكر مثلها في بطون التاريخ فكان الشعب في كل مدينة يخرج صفوفاً مؤلفة يزدحم فيها الصغار والكبار النساء والرجال دون صبغة سياسية وكلهم يسيرون منشدين الاغاني الدينية الحماسية وفي ايديهم الوردية يتلونها بحرارة الشهداء فكانوا اذا وصلوا الى مكان معيَّن يحلقون حول منبع أقيم في ساحة رحبة فيحضرون الذبيحة الالهية ويقسمون قسماً محرجاً انهم يبقون على ايمانهم ثابتين في دين المسيح وحبّ العذراء مريم والطاعة للحبر الاعظم. وقد اتى عدد المتظاهرين في بعض المدن الكبرى على المئة الف. وفي بعض الامكنة سعى اصحاب الفوضى ان يتعرَّضوا للكاثوليك فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وقد ابدى كثيرون من الغرباء إعجابهم بايمان الاسبانيين حتى انَّ محرِّر جريدة سان سبستيان الفرنسوية اعلن جهاراً بان الحكومة سيصيبها الفشل ان كانت تعادي الكاثوليك

وكان اهل اسبانية قبل ذلك بشهر في ٧ ايلول عقدوا في ڤيش مؤتمراً احتفلوا فيه بذكر مولد احد كبار رجالهم في القرن الماضي جك بلميس (D. Balmés) الكاهن الجليل والفيلسوف العظيم. وكان كاثوليك كنده في الوقت عينه يبهجون نظر الله بمظاهرات مؤتمرهم القرباني الذي سنذكره آنفاً

والحادث الآخر الذي آلم قلب ابي المؤمنين هو الانقلاب الذي حصل في البرتغال بمباغتي الشيعة المسونية التي جاءت بشاهد جديد على معاداتها للدين. وقد أطلعنا في تحقيق السبق قرَّائنا على حقيقة تلك البرقانيم المحزنة وما اتاهُ اصحابها من الاعمال الفضيحة والمسودة لوجه البلدان مع ما اختلقوهُ من الاكاذيب على ارباب الدين والرهبان. وقد وردت علينا بعد ذلك رسائل متواترة يصف فيها اصحابها ما قاساهُ الرهبان اليسوعيُّون من اصناف الهوان والمصادرات عند أسرهم وفي ايام سجنهم فعوملوا اسوأ معاملة حتى انَّ رئيس البرتغال الحالي حضرة الاب كبرال اقام الحجَّة علنًا بلسان الصحافة على الذين اقترفوا هذه المساوئ نحو رهبانه وهم كثير رجال فضل وفضيلة وعلم ولسع لم يقدموا منذ نيف وخمسين سنة على

ادنى عمل لستوجب الملام في اعين الحكومة او الشعب . ومن ثمَّ ما كان للجنيويين من داع الى تلك المعاملات غير بغضهم للدين

وقد كذب الذين صوّروا اليسوعيين المرتقالين كساسة الدولة وخابلي السلطة الملكيَّة فانَّه كان معروفاً لدى الخاصّ والعامّ ان اليسوعيين لم يتداخلوا في شيء من امور السياسة بل يحيدون عنها طاقة جهدهم حتى كاد الناس ان يعتبروهم كاجانب اكثر منهم كوطنيين فكانوا لا يدخلون على الملك الَّا في الايام الرسميَّة مع غيرهم . ولمَّا طلبت الملكة لميلي كرشد لذمَّتها احدَ الآباء اليسوعيين احالوها الى غيرهم فتولَّى ارشادها احد الآباء الدومنيكيين ثمَّ الاب فرانك اللازري الذي قُتل في الثورة الاخيرة . واذا كان الاب كجال السابق ذكرهُ في ايام رئاسته على مدرسة كمبوليد ذهب مرَّةً الى بلاط الملك كارلوس قبل موته بقليل ليشكرهُ عن هديَّة تآليفه التي ارسلها اليه متلطِّفاً ثمَّ قدَّم له بدلاً منها مصنَّفاته الشخصيَّة . وبعد ذلك بأيام جاء الى المدرسة المذكورة وليُّ عهد الملك مع اخيه مانويل فخصَّصا حفلةً ادبيَّة اقامها الطلبة . ومنذ تولى مانويل الثاني لم يجرِ بينهُ وبين اليسوعيين مواصلات مذكورة غير انَّهُ حضر الذبيحة المقدَّسة في مدرستهم في يومنت اذ كان متجوِّلاً في الكتدرَّة . فليت شعري اهذه هي اعمال سياسيَّة يستحقُّ بها اليسوعيُّون نقمة الجمهوريَّة حتى تلقيهم في السجن وتحكم عليهم بالنفي المؤبَّد وتستصفي كل اموالهم كأنَّهم ارتكبوا اقبح الجنايات وهم منذ نصف قرن لم يأتوا غير الاعمال المشكورة من تهذيب الشبيبة بالاداب والمعارف والقاء المواعظ وارشاد الجهَّال ووضع التآليف الدينيَّة والعلميَّة

فتلك هي حريَّة جمهوريي البرتغال واخلاقهم ومساواتهم . أو ما كان اولى بهم ان يجتهدوا لتفريغ هذه حريق وتهب مدرسة سنتوبال واديرة الرهبان والمكاتب النفيسة التي كانوا جمعوها بشقّ النفس لنشر العلوم . وقد اقرَّ اعداء اليسوعيين انفسهم بما ادَّاهُ اولئك الرهبان من الخدم الجليلة التي تضيق هذه الصفحات عن تعدادها ولا نذكر هنا سوى امر واحد ينطق بلسان حاله عن اعتبار الخصوم لمآثرهم العلمية . انَّ الاب طوران احد اساتذة مدرسة كمبوليد كان اكتشف نوعاً من القطر بحث فيه ابحاثاً دقيقة اذاعت صيتهُ بين رجال العلم الاختصاصيين فلمَّا أُلقي في الحبس مع اخوته الرهبان طلب اليه زعيم الثورة افونسو كوستا ان يواصل ابحاثهُ العلميَّة على

فتة الجمهورية وكاهد اساتذة كنيسة الحكومة على شرط ان ينفصل عن الرهبانية اليسوعية فكان جوابهُ كجواب الاب سكي في رومية لما ضبط الايطاليون مرصدهُ فيا الله يحيا ويموت مع اخوته

هذا ولا نعود الى اثبات ما قررناهُ في مقالتنا السابقة « صدق القال في ثورة البرتغال » بانَّ هذا الانقلاب كان عمل الماسونية وقد جاءت على ذلك شواهد جديدة لا تبقي ريباً في الامر فان جريدة « ماتين » الفرنسوية في عدد ٢٧ تموز كانت وصفت وصفاً مدققاً الاحزاب السرية التي أُنشئت لهذه الغاية مع فروعها وحلقاتها ورموزها ودساتيرها واقسامها المحرجة تحت ادارة رؤساء مجهولين بحيث امكن الفرنسر كوستا تنبأ بالامر شهراً قبل وقوعهِ وذكر صريحاً بانَّ الثورة سوف تقتل من لا بدَّ من قتلهم وانها ستكون « حبيَّة خليفة ». فيا حبذا اللطف واللين فانَّ قتل الابرياء ونهب دورهم وحبسهم ونفيهم فكلّ ذلك تعدهُ الماسونية امراً « حبياً لطيفاً ». قلت شعري لو كان وُجد كلام مثل هذا في تآليف احد اليسوعيين لاوسعوا الرهبانية كفراً شتماً وسربلوها العار والسخرية شأنها. لمَّا الماسون فانهم يثيرون كل الثورات ويشبون كل الشغب ويثيرون كل المحظورات والمآثم ويتشدقون مع هذا بالحرية والاخاء والمساواة. هزء!

الَّا انَّ اصحاب الثورة لم يتهنأوا بعد بثمرة مكايدهم فانهم بعد ان اسعروا نيران الفتن وساقوا السافل القوم الى الهيجان لم يعودوا قادرين على قهر جماح الشعب الذي جعل اليوم يطلب حظهُ من تدبير الجمهورية. ولا يرضى بانَّ الذين استعانوا به على الفوز على الزمام يستبدون بالمراتب او يوزعونها على من لم يعترف بالجمهورية الَّا بعد الثورة. فلا يبقى لاصحاب البرتغال غير ان يرفعوا الى الله اكفَّ الدعاء ليرحم الامة البرتغالية وينجيها من مخالب اعدائها

ونعلم العلم الاكيد انَّ الخبر الاعظم لدى استماعهِ بهذه الاخبار السيئة انفطر فؤاده حزناً. وكان قبل ذلك بخمسة عشر يوماً قالهُ من قبل الماسونية هو انَّ آخر لمَّا خطب اليهودي والماسوني قاضيَ محكمة رومية في ٢٠ ايلول يوم دخول الطليان الى امّ المدائن فشجع خطابهُ باقذع الشتم والشنع للبابا في حقّ امام الاحبار والسيد المسيح الذي ينوب عنهُ البابا في الارض. فكان تكلامهِ البذيء لسراً وقع في صدر

بيوس العاشر والعالم الكاثوليكي باجمعه. فما لبث ان تؤمنين أن اقام الحجّة على رأس الملأ في رسالة علنيّة وجّهها الى وكيله الكردينال رسيفي ونشرتها جريدة الاوسرفاتوري رومانو في ٢٣ منهُ. ثم وردت الاحتجاجات متواترة من كل انحاء العمور على ذلك الخطاب البذيء السافل ومثلهم صنع نائب حاكم بلديّة فينّا في جمعيّة حافلة حضرها وجوه العاصمة فوسم خطيب رومية بسمة السخافة وسربلهُ العار. بل احتجّ على اليهودي قومٌ من غير الكاثوليك وكان ممنّ احتجاج الجنرال بلّو (Pelloux) احد رؤساء الوزارة الايطاليـة سابقاً واحد ضبّاط الجيش البرلماني الذي فتح ثغر « بورتابيا » فكتب الى لوزاتي رئيس الوزارة مقرّعاً للحكومة على سكوتها عن جرأة حاكم رومية وقحته ونسيان الايطاليين لقانون الضمانات التي تعهّدوا بحفظها نحو الكرسي الرسولي واعلن انهُ سيناقش الحكومة على هذا الخلل

ونعلّ هذه الاهانة نحو شيخ الفاتيكان لم تكن سوى اخذ ثأر للماسونيّة على ما يلقيها من انتصار الكنيسة في مؤتمر مغريال القرباني الذي روى تفاصيل اخباره البشير في عدديه الصادرين في ٢٨ ايلول وغرّة ت ١ . وكانت الماسونية وقفت هذا المؤتمر بالمرصاد واعدّت في الخلسة مناجيقها لترمية بثّة نتفها فتوسّلت لادراك غرضها بوسائل الدهاء والخبث كأنوف عادتها ترمي الشكوك وتبذر الاكاذيب في حق ارباب الكنيسة فانكشفت « طبختها » وافتضحت سرائرها فقام اهل كندا متناصرين متعاضدين يقمعوا كلب الشيعة ويصونوا عن سبّها بلادهم ومدارسهم

اما حفلات المؤتمر القرباني فبلغت من البهاء والرونق والجلال والتحشّد الديني ما يجعلها في مصاف افخم المظاهرات التي توّجت بها مغربي القرن المتحرم والجيل الحاضر وهي تشيد على قوّة الشعوب ورقيّها في معارج الفلاح اذا بقيت على سلامتها وغريزتها الطيبة فلم تنخرها دودة الماسونيّة وتمتص شبّتها روح الكفر والزندقة. ففي ٢ ايلول ضاقت كاتدرائيّة مغريال برحبها عن عدد الجماهير المجمهرة فتقدم عشرة آلاف رجل الى المائدة الالهية. وفي ١٠ منهُ أقيم قدّاس حافل حضرهُ مائتا الف شخص. وفي ١١ منهُ ختم المؤتمر بطواف عظيم لاكوام القربان المقدّس حضرهُ اكثر من خمسمائة الف نفس وطاف فيهِ ١٥٠,٠٠٠ مؤمن فارتجّت الارض بوطء اقدامهم ودوت انحاء الجوّ باصوات صلواتهم وانا شيدهم الدينيّة وكان يتبع المؤمنين اجراق

الكهنة في عدد ١٨٠٠ ثم الاساقفة ورؤساء الاساقفة والكرادلة لا يقلون عن ١٢٥ في اثرهم قاصد الحبر الاعظم الكردينال ڤانوتلي الذي بارك بالقربان ذلك البحر المتموج المؤلف من رؤوس بشرية الخت خاشعة امام ربها

وممّا اولى اصحاب المؤتمر في مفاوضاتهم تعزية وارتياحاً انهم اقاموا حفلاتهم لاول مرة بعد القاء ملوك انكلترة يتنزهون به في قسمهم الرسمي من نكران سرّ القربان الاقدس فيجرحون بذلك جاسيات رعاياهم الكاثوليك. فارسل القاصد الرسولي باسم الحضور تحفزاً رفع فيه الى الملك جورج الخامس تشكرات المؤتمر باسره. والحق يقال انّ الملك السابق ادوارد السابع لم يَثْلُ ذلك القسم الأ مرغوماً لما كان يكنّهُ صدرهُ من الاعتبار لرأس الكنيسة الكاثوليكية ومن سموّ الالتفات الى ابنائها كما ظهر منهُ غير مرّة. فمنذ السنة ١٩٠١ سعى لدى مجلس بريطانية العظمى بان تُلغى تلك الالفاظ المهينة. ولمّا عاجلهُ الموت قبل ادراك غايته صرّح خلفهُ جلالة الملك جورج بانّهُ يرغب تحرير القسم رغبةً حارّةً. فعُرض الامر على بساط المباحثة في مجلس الندوة ثلاث مرّات في ٢٠ حزيران وفي يومي ٢١ و ٢٩ تموز فكانت الاغلبية الكبيرة موافقة لرغائب الكاثوليك. اما مجلس الاعيان فلم يكد يشاد المشروع منهم الّا بعض الافراد فكان نجاز مصادقتهم على التحرير المذكور في ٢ آب وبذلك نال الكاثوليك شيئاً ممّا بخسهُ البروتستانية من حقوقهم ولم يَعُد عاهل انكلترة يعتبرهم في قسمه كوثنيين او عَبَدة خرافات

وهنا لا بُدّ من تنبيه القرّاء على تقدّم انكلترة سنةً بعد سنة في طريق التساهل الديني بعد تعذّب التذمم ضدّ الكنيسة الرومانية. ومن مجالي الكياسة في العام الماضي في بريطانية العظمى المؤتمر الفيزوني الاول الذي عقدهُ كاثوليك الانكليز في ليدس فترأسهُ جثليق انكلترة الكردينال بيون والاورد حاكم اسقفية انكاثوليكي ي. كنيل (J. Knill) . وممّا اثنى عليه اعضاء المؤتمر ان يسعوا في الغاء بعض الامتيازات الشرعية المستثنى منها انكاثوليك حتى اليوم كاختصاص البروتستانت برتبة لورد كشليار الدولة ورتبة لورد نائب الملك على ارلندة. ومما ابيح انكاثوليك الانكليز اقتناء خمسة من كهنة البروتستانت الى حجر الكنيسة في وقت واحد

فظهر بذلك انَّ قوَّة الجاذبيَّة في الدين الكاثوليكي لا تزال تعمل عملها في قلوب البروتستانت. وفي الجدول الآتي ما ينبئك عن ترقّي الكثلكة في انكلترَّة منذ خمسين سنة :

السنة	عدد الكنائس	عدد الكهنة	عدد المدارس	عدد الدارسين
١٨٦٠	٥٨٧	٧٨٨	٩٩	١١,٠٠٠
١٩١٠	١٧٦٠	٣٦٨٧	١٠٦٤	٢٣٣,٠٠٠
الزيادة	١١٧٣	٢٨٩٩	٩٦٥	٢٢٢,٠٠٠

فترى انَّ الله لم يهمل كنيسته ويعزّي قلب نائبه على الارض في وسط الضيقات والبلايا لا بل تريد هذه للكاره بيعة الله قوَّة وغنًى شأن الانواء والزوابع التي تمدُّ في اعماق الارض جذور الشجرة وتنقل بذورها الى البعيد. فليس على الشعب المسيحي الَّا ان يتبع راعيهُ فهو يقودهُ الى المناجع الطيّبة وينجّيه من مخالب كل الوحوش الضارية

ولعمري انَّ امام الاحبار لا يدع فرصةً لينعش فيها روح التُّقى في المؤمنين ويستنهض هممهم ليزيدوا غيرةً وصلاحاً. وهذا فعلهُ مع الاساقفة والرُّعاة كما فعل في ٢٦ ايَّار ببراءته التي بدؤها « Editæ sæpe Dei » في تذكار المئة الثالثة لتقديس كولس برومايوس رئيس اساقفة ميلان وتابقة الكهنوت في عصره فانَّهُ عرضهُ عليهم كمثال الراعي الصالح الذي ضحّى نفسهُ في سبيل قطيعه ليصونهُ من وباء الاضاليل التي فشت في عهده. فبكيان لكلام البابا الحسن وقع في القلوب الَّا انَّ اعداء الكنيسة حملوا هذا الكلام على غير معناهُ فهيَّجوا رأي البروتستانت الالمان على الكاثوليك وكاد يتفاقم الصدع بينهم لولا انَّ الحبر الاعظم بلسان وزير دولته الكردينال مري دلفال أكَّد للحكومة الالمانيَّة انَّهُ لم يقصد في كلامه غايةً سياسيَّة ولم يتعدَّ في بثّي الحقّة الدينيَّة. فازال هذا التبليغ كل سوء تفاهم وأفحم كل المعاندين فخاب املهم في التفريق بين الكاثوليك وحزب اليمين في مجلسي النوَّاب والاعيان

وفي ٨ آب اثبت الحبر الاعظم قراراً في المناولة الاولى اصدرهُ مجمع الاسرار الرومانيّ فجعلهُ كتتمَّة لتقريره السابق المؤرخ في ٢٥ ك ١ سنة ١٩٠٥ في شأن المناولة اليوميَّة. اما موضوع القرار الجديد فمدارهُ على سنّ المناولة الاولى التي اعتادت

بعض الكتائس ان تؤجلها الى العاشرة او الثانية عشرة من سني اعمار الاطفال . فقرّر البابا بيوس وفقاً لعادات الكنيسة الاولى وقانون المجمع اللاتراني الرابع (سنة ١٢١٥) انهُ « يتحتّم على الاحداث ان يتقرّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز لئلّا يُحرَموا من ذلك الخبز الجوهري الذي هو سند المؤمنين وقوتهم اليومي في جهاد الحياة » . فحقّق الحبر الاعظم بهذا المنشور الشعار الذي توخّاهُ يوم تبوأ على كرسي الخلافة البطرسيّة بان « يجدّد كل شيء في المسيح » (افس ١ : ١٠) . ولا غروَ ان يصدق فيهِ ما سبق السيّد الجليل دي سيغور (Mgr. de Ségur) بتنبّأ بهِ قائلاً : « انّ البابا الذي سيلهمهُ الروح القدس فيوصي بالمناولة اليوميّة سوف يجدّد العالم ويحييهِ » . فبقي على الاساقفة وكافّة رعاة النفوس شرقاً وغرباً ان يجاروا الحبر الاعظم في غيرتهِ ويجدّوا الطريق لتعميم هذه العادة الحميدة حيثما امكنهم

هذا وانّ الراعي لا يجتزئ بان يقود خرافهُ الى المناجع المريئة والمناهل العذبة لكنّهُ قابضٌ ايضاً على العصا ليزم الضواري المتهدّدة تقطيعهِ او يردّ الشارد من حلاتهِ الى الحظيرة وذلك ما صنعهُ آخرًا راعي النفوس اذ رأى جماعةً من الكاثوليك يُعرفون بالسيليون (le Sillon) يتّخذون في جهادهم ضدّ الكفر وسائط ملتوية مغايرة لتعاليم الكنيسة وخطّتها المعتادة فوقع بين اساقفة فرنسة بعض الارتياب في امر هذه العصبة فكان بعضهم كالسيّد ميني (Mgr Mignot) لبقين ألّي يستصوب اعمالها على عكس الكردينال اندريو رئيس اساقفة بوردو . فحسماً للخلاف كتب الحبر الاعظم رسالة الى اساقفة فرنسة خطّاً فيها اصحاب السيليون وجريدتهم المعروفة بيقظة الشعب (l'Eveil Démocratique) وحتم عليهم بان لا يحيدوا عن تدبير اساقفتهم وينضمّوا الى رعاتهم وامر كتبة الجريدة ان يبطلوا جريدتهم او يجروا على غير خطّتهم السابقة . فما بلغت هذه الاوامر الى يد رئيس الجماعة المسيو مرك سانيه (Marc Sangnier) حتى اسرع واعلن بخضوعهِ التامّ لمشيئة كبير الاحبار وهكذا فعل معظم اصحابهِ فكانت طاعتهم موضوع الاعجاب العمومي وسبب سخط عظيم لماضي الكنيسة

وقد التجأ راعي الرعاة الى عصاتهِ في امر آخر تزيد الاخاليل العصريّة (le modernisme) التي كان قدامة البابا سبق فشجبها في براءتهِ « Pascendi » واوقف

الاكاذيب على دخائلها فهاج للمتدعون لمقاومة الحبر الاعظم ثمّ عدلوا الى السكوت ليشروا آراءهم سرًّا فجعلوا يبثّون في ايطالية وبلجيكة وفرنسة التآليف المختلفة والصحائف الطيّارة والرسائل الفريّة وغير ذلك فبادر الاب الاقدس الى كسر شوكتهم ببراءة بدؤها « Sacrorum Antistitum » لستطهم فيها عن اسرارهم وامر امرًا لازبًا كل اساتذة الدروس العليا والواعظين ومعلّمي الذمّة بان يقسموا منذ السنة الحاليّة قسمًا محرجًا يرذلون فيه تعاليم العصريين. وكذلك تقدّم قدلستهُ الى طلبة المدارس الاكليريكيّة ان يكفّوا مدّة دروسهم عن قراءة الجرائد والمجلّات حتى احسنها لينقطعوا الى العلوم الواسعة التي يحتاجون الى حفظها والتعمّق في موادّها. وقد ايّد الحبر الاعظم حكمهُ هذا بقرار آخر الى للسيو ديكرتنس (M. G. Decurtins) رذل فيه مذهب هؤلاء العصريين في كتاباتهم الادبيّة وذلك في ١٥ ايلول

فترى انّ ربّان السفينة البطرسيّة لا يزال مراقبًا لاحوال الجوّ حذرًا من كل خطر يُلمّ بالدين وكلت اليه حراستهم فلا جرم انّ الله خصّ كنيستهُ بابا عظيم يفتخر بهِ كل العالم الكاثوليكي. ولم يقصر قداستهُ بنظرهُ الى الدين والآداب فانّهُ يبذل ايضًا جهدهُ في ترقية العلوم والمعارف البشريّة ايضًا كما يدلّ عليهِ المرصد الفلكي الذي صار تدشينهُ في الڤاتيكان في ١٧ تشرين الاوّل. وهذا المرصد قد عهد بتدبيرهِ الى الاب هاكن اليسوعي احد خلفاء الاب سكي في العلوم الفلكيّة في زماننا وقد اثنى الحبر الاعظم على همّتهِ غير مرّة كما اطرأ معارفهُ الفلكيّة ائمّة علماء عصرنا

٢ احوال الدنيا

قبل ان نستقري احوال الدول وتتبّع ماجريات كل منها في العام المتصرم يحسن بنا أن نلقي عليها نظرًا عموميًا يكون كخلاصة سياستها

لا يُنكر انّ الريح التي تهبّ على الدول انما هي ريح الاستقلال فانّ الازمة الدستوريّة تتهدّد اكبر الدول. فهذه انكلترة التي كانت حتى اليوم تُشاهد الدول رصيفاتها ينتقلن ظهرًا لبطن وهي راسخة القدم لا تزعزعها انواء الثورة قد اصبحت اليوم عُرضةً للتقلّبات السياسيّة فانّ طبقاتها السافلة نهضت نهضة الاسد الرابض

تطلب حقّها من الامتيازات التي تفرّدت بها الاعيان فكأنّها تُطلق بتلك حقوق الانسان التي نادى بها الفرنسويّون سنة ١٧٨٩. والمظنون انّها ستفوز عاجلًا او آجلًا بمطاوباتها ورجاؤنا ان تنتهي هذه الازمة دون أن تُهرق الدماء كما جرى في فرنسة

وقد حصل مثل هذا النفور بين طبقات الدولة في المانية ولاسيما في بروسية بساعي الاشتراكيين الّا انّ الأزمة الالمانية اقتصاديّة اكثر منها دستوريّة على ان صداها سيكون لهُ فعل انعكاس في نفس المجلس العمومي وان تمّ بتحرير التصويت العام كما يطلبهُ القوضويّون زوال آخرًا اركان العرش الملكي

وان زدتَ على هذا ثورة البرتغال وانتصار الديموقراطيين في انتخابات الولايات المتّحدة والفتن التي وقعت في جمهوريّتَي المكسيك والبرازيل وجدت ان الديموقراطية تتقدم وتنمو مع ما تسحبهُ وراءها من تهديدات الاشتراكيين والفوضى

هذا ولا تزال شبه جزيرة البلقان كنقطة الدائرة ومركز السياسة الاوربيّة العامّة. فبعد وقوع تلك المخاصمات بين الدولة العلية واليونان التي اقلقت الرأي العام بسبب كريت فجعل روّاد السلام يسعون بعقد محالفة الدول البلقانية تحت نظارة التحالف الثلاثي الذي انتظمت في سلكهِ تركيّا اقلّهُ فعلًا كما يظهر لاسيما بعد هبوط القرض الروسي في فرنسة. على انّ تلك الدول مع رغبتها في انضمام انكلترة والاتحاد السلام لا تزال مرتابة في اجرائهِ باحثةً عن توطيد موازنتها بعد أن تقرّبت رومانية من الدولة العثمانية رأت بلغاريا ان صالحها يقضي عليها بنسيان ما في صدرها من الحزازات نحو اليونان فتصافحها بزداد. وقد سمت بان تسحب معها دولة الصرب. وبجعل الدول بين الدول كلها تصرخ السلام السلام وكلها تستعدّ للحرب استعدادًا حثيثًا. فمن مدّة شهر على بلغ الضجيج ان انكلترة اخذت بامتحان مدافع اكبر من مدافع « دريد نوتس » البالغة سرعتها ٣٠٠ ميلات فأعلنت النمسة بانّهُ ينبغي عليها تحرير السفن التي أمرت بتسييرها. وترى المتحالفين انفسهم يقلقون ويحذرون بعضهم من بعض فان ايطالية اوعزت بتحصينات ثغورها من جهة البندقيّة فاحتج ذلك عليها النمسة. وكذلك تقوت ايطالية مما بلغها انّ تركيّا عزمت على تحصين بعض سواحل البانية حيث يمكنها ان تتبدّد التخوم الايطاليّة في شمالي يونديزي وليس لايطالية هناك ما يصونها البتّة

(لهُ بقيّة)